

اللورد ومحاضراته الأربعة

محمد يوسف عدس

إسمه لورد كارى رئيس أساقفة كانتربري (الكنيسة الإنجليكانية) البريطانية، تخلى عن منصبه وأصبح مهتمًا بموضوع حوار الأديان . هذا الاسم مرتبط عندى بما يسمى "عملية الإسكندرية" التي جمعتها مع شيخ الأزهر والحاخام الإسرائيلي ، وصدر عنها بيان وقّع في يناير سنة ٢٠٠٢ م . ومحاضراته تلك التي ألقاها بجامعة جريجوريان في روما هي الثالثة من سلسلة محاضرات عن موضوع "الإسلام والغرب" وكانت قد لفتت الانتباه بعد أن جلبت انتقادات شديدة من أطراف عديدة، انعكست في محاضراته الرابعة والأخيرة التي ألقاها في جامعة ليسستر (١٢ مايو ٢٠٠٤)، وعلى هذه المحاضرة بالذات أسجل ملاحظاتي التالية:

ترد في صدر هذه المحاضرة الرابعة عبارة غريبة يقول فيها: "قررت في الخريف الماضي أن أقدم أربع محاضرات في مختلف جوانب موضوع "الإسلام والغرب". والسبب كما يقره: "أن أعمق فهمي للإسلام". و غرابة هذا الكلام أن الإنسان لا يحاضر لكي يعمق فهمه الشخصي وإنما لكي يفهم الآخرين ويعلمهم!.. فإذا لم يكن مُلمًا بالموضوع ، فلماذا يحاضر نفسه أمام المرأة في بيته أولاً حتى يفهم الموضوع ثم يذهب لمحاضرة الناس ..

وهناك ملاحظة أخرى هامشية إذ يبدو أن لورد كارى تنبه.. أو نبه إلى أن عبارة "الإسلام والغرب" تنبؤ عن القسمة المنطقية الصحيحة التي تستلزم أساساً واحداً مشتركاً ؛ فنحن نفهم أن تكون المقارنة بين الإسلام وأي دين آخر، كما نفهم أن يكون الحديث عن شرق وغرب إذا كان الأساس هو المنطقة الجغرافية مثلاً، ولأن لورد كارى تنبه متأخرًا إلى خطئه قال في تبرير ذلك كلاماً غامضاً أو بالأحرى..فارغاً من المعنى!.

أنتقل إلى بعض ملاحظات أكثر أهمية حول محاضراته الرابعة:

١- رغم الانتقادات الشديدة والعديدة لمحاضراته الثالثة- جاءت محاضراته الرابعة تحمل نفس الأفكار والتوجهات السابقة دون تعديل جوهري. فيما عدا أنه أسقط الفقرات التي تحدث فيها عن ضرورة تطوير فكر نقدي للشريعة الإسلامية، ودعوته علماء المسلمين أن يتعلموا من علماء

اللاهوت المسيحيين واليهود ..! وهو كلام ينم عن جهل بالعلوم الشرعية خصوصاً أصول الفقه وعلم الحديث، والكلام في هذا يطول.

٢- أسقط أيضاً عبارة نقدية موجهة إلى تطبيق الآية القرآنية: "لا إكراه في الدين" حيث علّق قائلاً: "إنها تعبر عن نصف الحقيقة".

٣- لا يمل لورد كاري من الإشارة إلى "ارتباط الإسلام بالإرهاب" وكلامه عن أن غالبية المسلمين ليسوا من الإرهابيين هو عندي من قبيل القدح في صورة مدح زائف ، إذ كان الأولى به أن يحدد الإرهاب في شرائح قليلة على هامش التيار العام للمجتمعات المسلمة، ونحن في زمن يشهد إرهاب دولي تمارسه أنظمة سياسية على نطاق واسع ولا أحد يصفه بأنه إرهاب مسيحي أو يهودي.

٤- كلامه في المحاضرة الرابعة (الفقرة السادسة) عن العقيدة الإسلامية من أنها ليست شيئاً واحداً وإنما فيها اختلاف وتنوع يدل على فهم غير متعمق تؤكد الأمثلة التي ساقها عن وجود مدارس أربعة في الفقه وعن وجود الشيعة والسنة وفرق أخرى .. وهو كلام يحتاج إلى مناقشة وتحقيق.

٥- في الفقرة التاسعة يُرجع التعصبات على كلا الجانبين إلى فترة الحروب الصليبية .. ويبرر الحروب الصليبية بأنها كانت لاستعادة أراضٍ مسيحية استولت عليها الجيوش الإسلامية من قرون سابقة ولكي تفتح أوروبا طريق الحج إلى الأراضي المقدسة ، وكأن طريق الحج كان مغلقاً بفعل المسلمين .. والمهم أنه يسلم بهذه المزاعم على أنها حقائق تاريخية في حين أنها لا تثبت أمام البحث التاريخي النزهي ، ولو أنه تعمق قليلاً في البحث لوجد أن الفتوحات الإسلامية كانت عملية تحرير حقيقية للشعوب المقهورة وليست تحريراً زائفاً كما تفعل أمريكا الآن في العراق وأفغانستان.

٦- الإضافة الوحيدة في محاضرة لورد كاري الرابعة هي الإشارة إلى قضية الفضائح والتعذيب الذي يمارسه الجنود الأمريكيون في سجن أبو

غريب بالعراق ، وفيما عدا هذا تبقى المحاور الأساسية في فكر لورد كارى واحدة وثابتة في محاضراته وعلى رأسها:

دعوته إلى كفّ العمليات الاستشهادية أو كما يصفها "الانتحارية" ضد إسرائيل .. وضرورة إدانتها من قبل القيادات الدينية المسلمة إدانة صريحة واضحة قوية ومستمرة. وأن تفتح البلاد المسلمة وعلى الأخص "السعودية" أبوابها للنشاط التبشيري وتسمح ببناء الكنائس الأجنبية.. وألا يتعرض أي مسلم يعتنق المسيحية للاضطهاد.

عجبت في مسألة حوار الأديان. لحماس لورد كارى له، فهو الرجل نفسه الذي رفض رفضاً قاطعاً إدانة الإرهاب الوحشي والتطهير العرقي والمجازر التي ارتكبتها الصرب ضد المسلمين في البوسنة متوافقاً في ذلك مع سياسة حكومة جون ميجور العنصرية المتحيزة ، كما عجبت بنفس القدر لمن يذهبون من عندنا إلى الحوار وهم يجهلون خلفيات محاورهم الثقافية وتعصباتهم ، ولا يدركون حقيقة القوى التي تقف وراءهم وتساندهم، ولم أعجب أن تأتي نتيجة مثل هذا الحوار غير المتكافئ بالارتباك والإذعان المهين..!